بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الجمعة 21-10-2011م الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

سلسلة قرأتُ في كتاب

((مالك الملك))

الحمد لله.. الحمد لله ثم الحمد لله..

الحمد لله نحمده، ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمة للعالمين أرسله، أرسلهُ ربنا بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كلّه، ولو كَرِه الكافرون، ولو كَره المشركون، ولو كَره مَن كَرِه، اللهم صلّ على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد.. فيا عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإياي على طاعته وأستفتح بالذي هو خير :

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: 135]

وقال سبحانه: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك:1]

وقال جل جلاله: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [النور:42]

وقال سبحانه: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر:13]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يَطْوِي اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟! ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟!.)).[البخاري ومسلم] **وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:** ((إِنَّ أَخْنَعَ اسم عند الله: رجلٌ تَسَمَّى مَلِك الأمْلاك)) [البخاري ومسلم] لاملك

أيها الإخوة:

هذه هي الخطبة الثامنة في سلسلة "قرأت في كتاب"، أختار لكم فيها فوائد منثورة في كتب قرأتها أو بعضها، ليفيد المرء علماً وعملاً.

عنوان خطبة اليوم:

(مالك الملك)

ولئن كنت في الخطب الماضية أقرأ عليكم شيئاً من كتب الناس فإني في خطبة اليوم قارئ في كتاب رب الناس، أقرأ عليكم الآيات الخامسة والعشرين والسادسة والعشرين والسابعة والعشرين من سورة آل عمران.

قال الله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: 25 - 27]

أيها الإخوة:

جاء في كتب التفسير أن المُلْك مثلَّثة الميم فهي مضمومة ومكسورة ومفتوحة، وخص الاستعمال المِلك بكسر الميم بما تملكه من متاع وأموال، والمُلك بضم الميم بالجاه والسلطان، والمُلك في الآية محمول على جميع أنواع المُلك فيدخل فيه المال والسلطان، والعلم والعقل، والصحة والأخلاق الحسنة، والقدرة؛ وذلك لأن اللفظ عامٌّ، فالتخصيص من غير دليل لا يجوز. [تفسير الرازي].

ومالك الملك: هو الحاكم المتصرف يفعل في الملك ما يشاء ويحكم ما يريد لعظم سلطانه وقوة إرادته، وهو مالك العباد وما ملكوا، وهو الله جل جلاله. [أيسر التفاسير].

والنَّزْع في اللغة: القلع بشدة، ونَزَع يده إذا أخرجها بقوة وعُسر؛ وإنما قال تعالى: ﴿ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ﴾ ولم يقل: وتأخذ الملك؛ لأن مَن مَلَك عادةً ما يكون متمسكاً بالمُلك، متشبثاً به، لا يريد تحوّلاً عنه.

وإن الله إما أن ينزع الحكم من مثل هذا النوع من الملوك، وإما أن ينزعه هو من الحكم، فهو جل جلاله يقتلع هذا المُلك حين يريد سبحانه.

ونزعُ الملك يكون بوجوه: منها بالموت، ومنها بإزالة العقل، وإزالة القوى والحواس، ومنها بإزالة القدر والمكانة، ومنها بورود الهلاك والتلف على الأموال، ومنها بأن يأمر الله تعالى المُحِقَّ بأن يسلب المُلك الذي في يد المُبطل، ويؤتيه القوة والنصرة، وعلى هذا الوجه نَزَع الله تعالى مُلكَ فارس على يد الرسول صلى الله عليه وسلم. [تفسير الرازي]

وقوله ﴿ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ﴾ أي تعزُّه بالنصر والتوفيق، وتُذِلُّه بالهزيمة والخزي؛ وقيل: تُعِزُّه بالقناعة والرضا، وتُذِلّه بالحرص والطمع، وقيل: تُعِزُّه بالطاعة وتُذِلّه بالمعصية. [تفسير الآلوسي]

يقول ابن كثير -رحمه الله-: (من كان يحب أن يكون عزيزاً في الدنيا والآخرة فليَلزم طاعة الله تعالى).

وفي الحِكَم العطائية: إنْ أردتَ أن يكون لك عزٌّ لا يفنى فلا تستعزّنّ بعزٍّ يفنى.

اجعل بربك كلَّ عزِّك يستقرُّ ويثبت فإن اعتززت بمن يموت فإن عزَّك ميت

كان من دعاء بعض الصالحين : اللهم أعزَّنا بطاعتك ولا تذلَّنا بمعصيتك.

والآية تقول : قل -يا أيها النبي متوجها إلى ربك بالدعاء-: يا مَن لك المُلك كلُّه، أنت الذي تمنح الملك والمال والتمكين في الأرض مَن تشاء مِن خلقك، وتَسلُب

الملك ممن تشاء، وتهب العزة في الدنيا والآخرة مَن تشاء، وتجعل الذلَّة على من تشاء، بيدك الخير، إنك -وحدك- على كل شيء قدير. [التفسير الميسّر]

قال ابن عباس وأنس بن مالك -رضي الله عنهم-: لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ووعد أمته مُلك فارس والروم قال المنافقون واليهود: هيهات هيهات! من أين لمحمد ملك فارس والروم؟! هم أعز وأمنع من ذلك، ألم يكفِ محمداً مكة والمدينة حتى طمع في ملك فارس والروم؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية. [تفسير القرطبي]

قال الله تعالى في سورة الرحمن: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن:29]، شأنه أنه يغفر ذنباً، ويفرّج كَرْباً، ويكشف غماً، وينصر مظلوماً، ويأْخذ ظالماً، ويفكّ عانياً، ويغني فقيراً، ويجبر كسيراً، ويشفي مريضاً، ويُقِلّ عثرة، ويستر عورة، ويعزّ ذليلاً، ويذل عزيزاً، ويعطي سائلاً، ويذهب بدولة ويأْتي بأُخرى، ويداول الأَيام بين الناس، ويرفع أَقواماً ويضع آخرين، يسوق المقادير التي قدّرها، فلا يتقدم شيء منها عن وقته ولا يتأَخر، فهو المتصرف في الممالك كلّها وحده تصرُّفَ مَلِكٍ قادر قاهر عادل رحيم تامّ الملك، لا ينازعه في مُلكِه منازع، ولا يعارضه فيه معارض، فتصرّفه في المملكة دائر بين العدل والإِحسان والحكمة.

عن أَبي الدرداء -رضي الله عنه- أَنه سئل عن قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾، فقال: سُئلَ عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ((**مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَغْفِرَ ذَنْباً، وَيُفَرِّجَ كَرْباً، وَيَرْفَعَ قَوْماً، وَيَضَعَ آخَرِينَ**)) [الطبراني والبيهقي وابن حبان]

أيها الإخوة : هذا شيء قرأتُه في كتاب الله وفي تفسيره، والمطلوب منا في هذه الخطبة ثلاثة أمور:

1-إذا كان الله تعالى هو المَلِك وهو مالك المُلك فتذلّل له ولا تَذِلَّ لسواه.

2-إذا كان الله تعالى هو المَلِك وهو مالك المُلك فلا تتكبَّر على خلقه وعبيده ولا تؤذهم، لأن الملوك تغار على مماليكها.

3-إذا كان الله تعالى هو المَلِك وهو مالك المُلك فراقب نفسك أنك مملوك في مملَكَته، فلا تتصرف إلا بأمره ونهيه.

أخرج ابن مردويه عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**يقول الله عز وجل: وارتفاعي فوق عرشي، ما من أهل قرية ولا أهل بيت ولا رجل ببادية كانوا على ما كرهتُ من معصيتي ثم تحولوا عنها إلى ما أحببتُ من طاعتي إلا تحولتُ لهم عمَّا يكرهون من عذابي إلى ما يحبون من رحمتي.**

وما من أهل قرية ولا أهل بيت ولا رجل ببادية كانوا على ما أحببتُ من طاعتي ثم تحولوا عنها إلى ما كرهتُ من معصيتي إلا تحولتُ لهم عمَّا يحبون من رحمتي إلى ما يكرهون من غضبي)). [ابن مردويه وابن كثير]

و الحمد لله رب العالمين